

جامعة قناة السويس  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

المؤتمر الدولي الأول  
السرديات فى الأدب والعلوم الإنسانية

بحث

المنهج السردى عند الجبرتى  
فى محكمة التاريخ

إعداد

د/ أسامة سيد على أحمد  
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد  
بكلية الآداب - جامعة قناة السويس

أقام بعض المؤرخين واللغويين في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي دعوى نتناولها في محكمة التاريخ . يتهمون فيها مؤرخنا الشيخ "عبد الرحمن الجبرتي" (١) بأنه من الإخباريين ، وليس من المؤرخين وهم يرون أن كتاباته كانت مجرد يوميات كتبت في أوانها ، أو هي إضمامة تضم جهد مخبر صحفي غير نشيط ، فالجبرتي عند هؤلاء صحفي أكثر منه مؤرخاً . (٢)

وقد سار على درب هؤلاء المؤرخين واللغويين بعض المستشرقين ومنهم المعاصرون واللاحقون ، عندما اتسعت دائرة الاتهام لتشمل التصريح بأن مؤلفات الجبرتي "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" أو "مظهر التقديس في زوال دولة الفرنسيين" ليس من التاريخ . على أسلوبه الصحيح في شيء إنما هي حكي لمذكرات أو إلقاء لروايات قيد المؤلف شواردها بغير ترتيب ولا تنسيق (٣) وعلى النهج نفسه سار المحدثون وذكروا أن الجبرتي كان قليل التعليقات ، وأن معظم أخباره صماء لا يتجاوزها إلى مقارنتها أو تحقيقها أو تفسيرها (٤)

وبكل قسوة و عنفوان اتهم هؤلاء جميعاً الجبرتي بأنه يصوغ أحكامه في كلمات مبسترة جافة دون تعليق أو تحقيق وكأن بعضهم يردد عبارات بعض أو ينقل آخرهم عن أولهم (٥) وكان من أشد هؤلاء جميعاً قسوة على مؤرخنا الكبير عبد الرحمن الجبرتي ، الأستاذ عبد الرحمن الرافعي ، الذي قال : ..

"فالجبرتي لا يزعم أنه كاتب أديب ، وقد كانت الكتابة صناعة أدبية يقوم بها من توافروا على أسبابها من حفظ الرسائل والشعر وفنون الأدب والمعرفة" . (٦)

وفي موضع آخر يقول الرافعي .. "ومع أن الجبرتي من تلاميذ السيد مرتضى شارح القاموس ، فلم يفده السيد أكثر مما كان يفيد لو أعطاه كتاباً من أمهات كتب اللغة ، فوَقعت في تاريخه الأغلاط الكثيرة في المفردات ، وفي العبارة وفي الأسلوب ، ويرجع كل ذلك إلى أنه لم يفرغ للأدب ولا مهر فيه بل درس العلوم الشرعية والفلك والرياضة" (٧)

وهكذا جرت أقلام هؤلاء دون التوقف قليلاً أو كثيراً عند هذه الاتهامات لتفنيدها ومناقشتها أو إخضاعها لأصول النقد التاريخي ، ومنهج البحث العلمي حتى تتضح الحقائق ، أو على أقل تقدير يتبين مدى صدق ما قالت به تلك الأقلام من عدمه .

ونظراً لأهمية هذا الموضوع ، وبما أن هذه الاتهامات جميعها تندرج كلها تحت شعار "الجهل بالتاريخ" فقد أثرت تحريك الدعوى في هذه القضية من جديد أمام "محكمة التاريخ" معتمداً في ذلك على نفس صحيفة الاتهام الأساسية التي قدمها هؤلاء أصحاب الادعاء ، مناقشاً ومحاوراً ومدافعاً عن شيخ المؤرخين عبد الرحمن الجبرتي

وفي ترتيب أوراقي للدفاع عن مؤرخنا استعنت بمجريات الأحداث وتتابعها في العصر الذي وجد فيه وفي النهاية قدمت لمحكمة التاريخ وثيقتين هامتين الأولى للمتهم الرئيسي في هذه القضية ونقدمها كما خطها هو بقلمه ، والثانية تتعلق بشهادة الشهود من المؤرخين القدامى والمحدثين والمستشرقين الذين جاءوا ليدلوا بشهادتهم في حق الشيخ الجبرتي وهما الحجة الدامغة في تبرئة ساحته أمام محكمة

التاريخ ، في البداية يجب أن نعترف أن "لغة السرد" التي اتبعها الجبرتي في كتابة تاريخه هي التي فتحت عليه "باب جهنم" من جانب هؤلاء أصحاب الادعاء ، وهي التي عرضته لتلك الاتهامات ، حتى درج الكثيرون ممن تعرضوا لتاريخ الجبرتي إلى انتقاده بسبب إتباعه للمنهج السردى التقريبي في التاريخ ، بحيث يصعب على القارئ مثلاً أن يستخلص الحقائق المجردة من غيرها . وقد ردد أصحاب الادعاء عبارات شائعة وأوهاماً غامضة عند الحكم على سردية الجبرتي في تلك الفترة بناء على وضعية اللغة في فترة سابقة كانت مزدهرة .

وحتى تكون تلك المحكمة عادلة في تيرئة شيخ المؤرخين - على الأقل من وجهة نظرنا - نرى أن نحدد نقاطاً محددة نبني عليها دفاعنا

ولكي نكون موضوعين نذكر أصحاب الادعاء بأننا في الحكم على الجبرتي يجب أن ننظر إلى سرديته - التي هي موضوع الاتهام - في إطار العصر الذي وجدت فيه بنواحيه السياسية والاجتماعية والثقافية ، وحين ننتهي من النظر إليها في هذا الإطار يكون من حقنا أن نصدر الحكم عليه . لذلك نستعرض معاً - في عجلة - تلك الظروف التي أحاطت بالمنهج السردى عند الجبرتي . لقد ارتبط المنهج السردى عند الجبرتي بعاملين مهمين

الأول :- الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية لعصر شيخ المؤرخين

الثاني :- اللغة العربية وضعف الفصحى التقليدية السائدة عن الوفاء بالحاجات الاجتماعية الجديدة ومن خلال هذين العاملين يمكننا الحكم على المنهج الذي اتبعه الجبرتي ، بأن كان هناك ثمة ما يدعو إلى الأحكام .

أولاً :- الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية

#### ١- الظروف السياسية

غنى عن الإفاضة لفت النظر إلى أن مصر كانت إحدى الولايات التابعة للسلطنة العثمانية ، وكان يحكمها الوالي أو الباشا التركي نائباً عن السلطان في استنابول ، ولكن السلطة الفعلية في مصر كانت في يد المماليك بكافة فئاتهم ، البكوات والصناجق ، وحكام الأقاليم ، حتى احتلت جيوش الفرنسيين مصر في عام ١٧٩٨م ، ففر المماليك إلى الشرقية والوجه القبلي واختفى الجنود الأتراك من شوارع القاهرة طيلة الأعوام الثلاثة التي احتل فيها الفرنسيون مصر .

ثم عاد إليها هؤلاء وأولئك عقب خروج الحملة ، فعادت مصر بوجه عام ، والقاهرة بوجه خاص مسرحاً للصراع بين كافة الطوائف المملوكية والتركية المتصارعة ، حتى تولى محمد على حكم مصر وحاول بث روح جديدة فيها للقضاء على المماليك وتقليص دور الجنود الأتراك والاعتماد على المصريين في المجالين العسكري والمدني

عاصر الجبرتي في أواخر القرن الثامن عشر كل هذه الفوضى السياسية ، ومع هذه الفوضى ضاعت المؤلفات ، وفقدت المصادر أو انتهبت من علماء الحملة الفرنسية .

لهذا لم يكن الطريق أمام الجبرتي ممهداً مستقيماً حتى يكتب التاريخ الكتابة المحبوكية ، بل كانت المسالك أمامه معقدة ، والمفارق متشابكة مع ضياع العلوم المساعدة ، ونحن نعلم أن أساس التدوين التاريخي الصحيح هو المعرفة الإنسانية ، ولا تتأتى هذه المعرفة إلا من خلال هذه العلوم التي تتصل اتصالاً مباشراً بكتابة التاريخ

ومن ناحية أخرى ضاعت الوثائق التي تحتوى على المادة التاريخية الحية وتوقف ديوان الإنشاء الذي كان يقوم بتنفيذ أوامر السلطان العليا ، وظهرت في مصر حركة شعبية داخلية ، فكانت كل طائفة تقوم على أنقاض الأخرى وطالما قامت تتخلص من كل الأوراق الرسمية وغير الرسمية الخاصة بالطائفة الأخرى .

حقيقة أن مصر كانت في نهاية شوط من مسيرتها الطويلة وبداية شوط جديد ، بمعنى أن مصر كانت على عتبة عصر جديد بعد مفترق الطرق ، وكان هذا الانتقال من عصر إلى عصر حافظاً على التدوين والتأريخ ولكن من أين تأتى المادة العلمية ، وأين تتوافر المصادر القلمية التي لا يمكن أن يقوم بدونها البحث العلمي فهي أساسه وهيكله العظمى ، وهى النتاج الأصلي للمؤرخين القدامى ، هذا النتاج لم يصل إلى الجبرتي ، ولم يكن يعرف عنه شيئاً بسبب الصراع الدامي على السلطة والحكم ، هذا الصراع الذي امتد ليصل إلى البطش بالكتب والمؤلفات .

عاش الجبرتي هذه الفترة المضطربة الحافلة حلوها ومرها ، وكان عليه أن يلاحق الأحداث ويصارع الأمواج بالتدوين السريع البعيد عن الصنعة .

ودون الخوض فى تفاصيل نترك الكلام هنا لمؤرخنا الجبرتي ليصف هذه الأحوال بنفسه فى كلمات بليغة قال فيها .. "لقد افتقدت إلى المصادر التاريخية التى تعينني على الكتابة بسبب تسربها أو دشتها فى بعض المكتبات ، كما أن كثرة الفتن والصراع بين المماليك بعضهم ببعض أو بينهم وبين العثمانيين أدت إلى ضياع الكثير منها ، فضلاً عن أن الفرنسيين آخذوا ما وجدوه منها إلى بلادهم ، فلم يجد ما يستعين به فى كتابه سوى بعض أجزاء مدشته من التواريخ ، وأن بعضها صار أسماء من غير مسميات" .. (٨)

هكذا كان لابد على الجبرتي أن يعتمد على نفسه فى سرد الأحداث التى يراها تتكاثر أمامه ، وهذا ما جعله لا يسهب فى كتابه تاريخ العصور السابقة عليه

لقد عاصر الجبرتي وشاهد لحظات احتدام تاريخي تتغير فيها الظواهر وتتقلب فيها الأوضاع ، وكان لابد عليه أن يرصد حوادثها التى كان محتملاً أن يضيع كثير من تفاصيلها لولا أنه احتفظ بها وسجلها ومن هنا قد يظهر قصوراً فيما كتب وقد يظهر أيضاً - ظهور غير متعمداً - ركائفة فى التركيب واختلاط وعدم انتظام ولكن ليس فى ذلك كله ما يشين لأن الطابع العام لكتابات الجبرتي هو سرد الأحداث كما هى ، حتى ولو ظهرت كأنها تبدو غير مترابطة يعوزها التوحيد والتأليف بين جزئياتها ، وقد يصادف القارئ كثيراً من التكرار الذى وقع فيه الجبرتي ، إلا أن هذا التكرار ما كان إلا لاهتمامه بأدق الأمور .

ونحن نعلم أن السرد أو الرواية أو الحكاية كلها قائمة على الاسترسال دون العناية بالمراجعة أو التركيز ومن هنا كان تدوين الحوادث عند الجبرتي في شكل حوليات مجزأة منفصلة تنقصها أحياناً وحدة الموضوع دون محاولة ربط حادثة ما بشئ سابق عليها .

ومن ناحية أخرى لابد أن نذكر أن التكرار في معلومات كتاب العجائب عند الجبرتي كان لابد منه ، لأن الجبرتي بدأ تدوين كتابه "عجائب الآثار" وهو في الخامسة والعشرين من عمره وبدأ بالتراجم للأعلام ، ثم دون بعد ذلك يوميات للمراحل التي عاصرها ، ثم عاد بعد ذلك لتنسيق ما كتب وتبويبه وكان وقتها قد جاوز الخمسين من عمره ، كما أن بعض الظواهر التاريخية كانت قد استكملت ملامحها ، فأعاد الحديث عنها مع استخلاص نتائج ربما لم تكن واضحة أمامه وهو يسجل الأحداث اليومية وقت حدوثها (٩)

لقد كان الجبرتي يرى أن التاريخ يجب أن يعتمد أساساً على السماع والمشاهدة عن طريق سرد الأحداث أولاً بأول ، لذلك كانت ملاحظاته يومية وبفضل هذا المنهج السردى الذي وضع أصوله ساق الجبرتي في حولياته حشداً من الأخبار ، ولكنها لم تكن أخبار جافة باردة - كما يزعم البعض - بل على العكس فالقارئ للجبرتي يشعر دائماً بأنه يضع يده على نبض الحياة وكأنه يعيش الجو الحقيقي لمصر في تلك الفترة .

وفي اعتقادي أن تدوين الجبرتي لتاريخ تلك الفترة على هيئة سرديات يحسب له وليس عليه لأنه أعطانا الكثير من التفضيلات التي لا يمكن الحصول عليها لو كتب تاريخية في شكل موضوعات ، وأن ما تميز به من استرسال وسرد للأحداث استطاع أن يقدم لنا صورة كاملة للحياة السياسية في مصر ، جمع أحداثها من أفواه عامة الشعب ، فدون بأمانة ما كان ينادى به الشعب بأسلوبه ولغته عن طريق الحكاوي ولم يقم وزناً - وهو من رجال اللغة العربية - للأخطاء النحوية أو اللغوية ، وبذلك ترك لنا سجلاً حافلاً بألوان الحياة التي كان يعيشها المجتمع المصري في ذلك الوقت

صحيح أن تعليقات الجبرتي على أخباره كانت قليلة ولكنها مع قلتها وندرته مهمة إذا ما رصدت بشكل دقيق وقورنت بغيرها وربطت بالحدث الذي تتلوه ، وهي كفيلاً بأن تكشف ملامح وجهة نظره .

ولابد ألا يخفى علينا جانب المعاصرة ، فهو يصف حوادث عصره عن طريق الشهادة التاريخية ، وبذلك فهو يعكس موقفاً سياسياً أكثر مما يعكس رؤية منهجية .

والحقيقة أن أي رؤية منهجية هي في المحصل النهائي رؤية سياسية .

لذلك أرى - إن جاز لي الرأي - أن السرد الذي اتبعه الجبرتي في الأحداث يعد منهجاً فريداً لأن كتابات الجبرتي تعكس رؤية فكرية محددة وواضحة لسنوات تغيرت فيها مصر تغيرات فاعلة ومؤثرة .

والواقع أن اختيار أخبار معينة وإهمال غيرها في كتابة الجبرتي ، والترجمة لأفراد معينين وترك آخرين يعكس مدى منهجية الجبرتي ، كما أن ترتيب مباحث مؤلفاته سواء كانت العجائب أو التقديس يمكن أن يظهر دلالة منهجية ، هذه الدلالة في حد ذاتها أثر فني رائع .

وروعة المنهج عند الجبرتي ليست في الحكمة ، أو في اكتمال الصنعة ، بل هو في انتقال المعلومات للقارئ كما هي من يد المؤلف إلى القارئ ، فهي وثائق وروايات وحوالي مسجلة بنصوصها بعريبتها

وأعجميتها ، وهى قطع منمقة ، وهى خواطر تنسج ، والعجيب أن ذلك كله لا يتنافر بل تنسجم عناصره المتباينة فى تركيب متوازن ، وفيه ينتقل القارئ من متن إلى متن - إن صح القول - دون أن يضطرب انتباهه

ومن هنا نستطيع أن نقول - دون أي غضاضة - أن المنهج السردى عند الجبرتى كان ينم عن عقل راجح ، واتجاه سليم ، فهو يعالج مشاكل الحياة فى المجتمع معالجة البصير بالأمر ، ويحكم عليها حكماً مقبولاً فضلاً عن أن أسلوبه اتسم بسمة العصر الذي عاش فيه ، فيغلب عليه السجع حيناً خاصة إذا كتب فى مسائل علمية أو أبحاث اجتماعية ، أما إذا دفعته الحوادث للسرد فإنه يسجلها كما اقتضتها الظروف ويدبجها عفو الخاطر ووفق طبيعتها لا تكلف ولا تصنع لأن تقلبات الأحوال كانت تسوقه سوقاً إلى الكتابة ونحن نتساءل لما التكلف؟! والتاريخ - ببساطة شديدة - كما هو فى كلام العرب يعنى "الإعلام بالوقت" ، وهو فن يبحث فى وقائع الزمان والمكان (١٠)

وصفوة القول تؤكد هنا على أن الجبرتى كان على علم بصناعة التاريخ وقواعده ، فقد سرد أوراقاً مسودة لوقائع إجمالية وأخرى محققة تفصيلية ، شاهداً بنفسه ، وبعد مرحلة الجمع سار فى تنسيق ما جمعه مرتباً على حسب السنين .

فقد خلط الجبرتى بين التأريخ والسرد والقصص والأدب والراوي والتراجم بالوفيات ، ونظم الحكم التى ذكرها بحقائقها مجردة من أسبابها وعللها .

## ٢ - الظروف الاجتماعية

وترتبط بتلك الظروف السياسية - التى تكلمنا عنها من قبل - الظروف الاجتماعية ، فالم تأمل للمجتمع المصري يجد أن المجتمع فى أواخر القرن الثامن عشر انقسم بين طبقتين الحكام والمحكومين . أما الحكام فهم فئة المماليك الذين استبدوا بالحكم من الناحية الشكلية فى شخص الوالى الذى كان يمثل حكومة السلطان ، ولم يكن لهذا الوالى أي نفوذ فى عصر الجبرتى ، فهو يسجن أو يعزل أو يقتل ، فى الوقت الذى يمكن أن يفقد فيه ولاء أمرائه بمجرد أن يحل محله والى جديد . (١١)

وأما المحكومون فهم أبناء الشعب المصري الذين انقسموا إلى طبقات فيما بينهم من حيث المكانة الاجتماعية ، فعلى قمة الهيكل الاجتماعى كان العلماء ورجال الدين ، ثم طبقة التجار والملاك ، وبعدهم يأتي المزارعين والفلاحين ، ثم طائفة الصناع والعامه .

وقد تحملت الطائفتان الأخيرتان - العمال والفلاحين كما جرت العادة فى مصر على مدى التاريخ - كل ألوان القهر والعذاب والإذلال ، فقد عاشتا ضحية التسعف والاستغلال حتى هجروا الأرض وتحولت إلى بور فقلت المحاصيل وخربت الصناعات وغلت الأسعار ، فحدثت المجاعات التى حصدت الآلاف من أبناء الشعب .

وتتملئ صفحات "عجائب الآثار" بذكر أقاصيص الإذلال التى رواها الجبرتى فى سرده للأحداث - والتي لا يتسع المقام لذكرها الآن - وفيها استخدام عبارات معبرة مثل

"النهب والسرقه والاغتصاب والقتل والتشريد والحرق وانتهاك الأعراض" . (١٢)

هكذا طلت الفتنة بوجهها البغيض على الشعب المصري ، وظللت سماء مصر غمامة سوداء كريهة ، ولا نعلم حتى الآن كيف نجت منها مصر؟! وكيف استطاعت أن تواصل الحياة بعدها؟! شاهد الجبرتي كل ذلك ، فكان لابد أن يتميز بالموضوعية النابعة من عمق انفعاله بالأحداث فدونها كما هي دون تكلف ، ثم أن الجبرتي محب لبلده يشاركه أفراحه وأتراحه ، فلا ينظر إلى الأحداث من بعيد بل عن قرب ، ومن هنا جاء تاريخه صورة نابضة بالحياة فقارئ الجبرتي يشعر دائماً بالحياة الجياشة التي يصورها ، وكأنه يعيش في الجو الحقيقي لمصر من أجل ذلك ، كان لابد على الجبرتي أن يدخل مباشرة في لب الموضوع الذي أمامه دون إفراط ولا تفريط عن طريق السرد المباشر للأحداث

وبفضل المنهج السردى نجح الجبرتي في إبراز الشخصية المصرية ، وعند مصطلح "الشخصية المصرية" نتوقف قليلاً ، لأن جمال ما كتب الجبرتي أنه يتعلق بمصر وحدها ، بحيث أن تاريخه بحق هو تاريخ مصر ، تصور فيه معالم القاهرة واضحة جليئة ، فساق عنها معلومات مفصلة نادرة ، فهو يتكلم مثل "المقريزي" عن الخطط والمواقع والأماكن والميادين والشوارع بما فيها من حارات وعطفات ودروب وأزقه ومساجد وقصور وبساتين .

وكما قال مؤرخ فاضل "أن ما يفضى أهمية كبيرة على كتابات الشيخ الجبرتي أنها تكاد تكون المصدر المحلى الوحيد الذي كتب عن تاريخ مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر ، بدقة وشمولية لا نظير لها" . ( ١٣ )

واعتقد أن هذا الكلام صحيح لأن قارئ الجبرتي لا يملك إلا الإحساس برائحة أرض مصر الطيبة وقد ملأت صدره كلما صادف تعليقا على قضية هنا أو حادثة هناك .

وبعيداً عن التكلف ، لم يكن يتأتى كل ذلك إلا من خلال السرد المباشر القائم على الاسترسال ، ومن هنا جاء تاريخ الجبرتي صورة صادقة ناصعة في جبين التاريخ المصري في وقته ، نحس فيه بصدق العاطفة وحرارتها .

وأتباع المنهج السردى عند الجبرتي جعله يمتاز عن سبقوه من مؤرخي مصر بأنه لم يقتصر اهتمامه على عليه القوم ، والأحداث الهامة فقط ، بل عنى بالأمور الجليئة والحقيرة ، ولم يدع شيئاً نمت إلى علمه إلا ودونه في دقة مدهشة .

لذلك نراه دقيق التحري أميناً في النقل ، نزيهاً في الرواية ، يكشف عن أرائه فيما يعرض له فينبسط وينقبض ، ويسخر ويتهكم ، ويشتط ويغضب ، وهو دقيق الملاحظة المعى الذكاء ، نفاذ البصيرة .

ويكفى أن نذكر هنا ما خط به قلمه في هذا الشأن وهو يقول . "ولم أقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير أو طاعة وزير أو أمير ، ولم أداهن فيه دولة بنفاق أو مدح أو ذم مياين للأخلاق . لميل نفساني أو غرض جسماني .." ( ١٤ )

وخلاصة القول تؤكد على أن المنهج السردى الذى اتبعه الجبرتي يعد ظاهرة فريدة من نوعها ، خاصة وأن الفترة التى عاش فيها الجبرتي كانت مليئة بالأحداث .

ومن ثم جاءت كتاباته سداً للفراغ الذى أصاب تلك الفترة ، ووصولاً لما انقطع من حبل الحركة التأليفية التاريخية فى مصر .

وحتى يكتمل دفاعنا فى تبرئة شيخ الشيوخ الجبرتى من التهم المنسوبة إليه ، نذكر هنا كلمة عن الاتجاه الحديث المتصل بالدراسات السسيولوجية والسيكولوجية للمجتمعات والشعوب ، هذا الاتجاه يعتمد أساساً على المنهج الوصفى للأحداث ، وهو المنهج القائم على الملاحظة المباشرة والمشاركة الفعالة .

وإذا ما قارنا بين هذا الاتجاه الحديث ، وبين المنهج الذى اتبعه الجبرتى فى سرده للأحداث ، نجد أنه لم يحيد عنه قيد أنمله فى تأريخه خاصة عندما تحدث عن مجتمع القاهرة وتعرض لسلوك السكان بالوصف والدراسة

وبناءً عليه نستطيع أن نقول ، أن الجبرتى كان من الرواد القلائل فى هذا المنهج السردى الذى اتبعه عندما كان معنياً بتسجيل ما رآه وما سمعه حريصاً على الخبر .

### ٣- الحالة الثقافية

وتسلمنا تلك الظروف السياسية والاجتماعية إلى تصور آخر عن الحالة الثقافية فى ذلك العصر ، فقد أجمع المؤرخون على أن الجهل كان فاشياً والشعب المصرى زج به تحت ظلام الجهالة إلا الأزهر فقد كان المعهد الوحيد الذى تدرس فيه العلوم ولولاه لانطفأت شعلة العلم فى مصر .

وإلى جانب الأزهر كانت هناك بعض الكتاتيب التى ينفق عليها من أموال الصدقات والأوقاف (١٥) أما المدارس التى كانت موجودة على عهد الفاطميين والأيوبيين فقد آل أمرها إلى الخراب ، فقد انقطع التدريس فيها ، وبيعت كتبها أو انتهبت ، كما تبددت خزائن الكتب التى كانت عامرة ، وقد ترتب على هذا كله أن قل عدد المثقفين وانحصر داخل إطار المتعلمين من الأزهر ، كما قل من نبغوا فى الحياة الأدبية والعلمية . (١٦)

لقد انعكس هذا الفقر الثقافى على حياة مصر والمصريين حتى بدأت حركة الإصلاح فى عهد محمد على بإرسال البعثات إلى أوروبا وما ترتب عليها من محاولة نقل مصر من ظلمات العصور الوسطى إلى نور العصر الحديث .

عاصر الجبرتى هذه النقلة وهو من الطبقة المستنيرة وبحكم ثقافته التى جعلته أكثر فهماً وإدراكاً لما يدور حوله ، كتب الجبرتى بهذا الأسلوب السردى ليساير عصره ، فجاءت كتاباته صورة صادقة حية للعصر الذى كتب فيه .

لقد كان الجبرتى ينتمي لفئة المثقفين ممن أصيبوا أكثر من غيرهم بالصدمة الثقافية حين التحمت الثقافة المصرية بالثقافة التركية ثم امتزجت بعد ذلك بالثقافة الفرنسية ونتيجة لذلك ، فقد وقف البعض ممن أصيبوا بالصدمة موقف المقاومة السلبية واتسم سلوكه بالا ميالة ، وعدم التجاوب ، وبعضهم أسفر عن احتجاجه فانضم لطابور الثوار ، والبعض الآخر كان متأملاً مستوعباً يقطاً فدون كل الأحداث بسرعة الواعى النبويه وكان الجبرتى أول هؤلاء

عاش الجبرتي ورأى بعين رأسه الحروب والثورات التي كانت تحدث داخل المجتمع المصري في فترة الانتقال من حال إلى حال ، وعاصر أيضاً الصراع الفكري بين الأجيال المتعاقبة على مر العصور ، وهو الطاقة المحركة لجميع الأمم نحو الأخذ بأسباب العيش الكريم ، إذ يطيح هذا الصراع برواسب الجمود ، ويفجر في نفس الوقت الطاقات الكامنة لدى الأجيال الصاعدة هذه المرحلة كانت من أهم مراحل تاريخ مصر التي كانت ترتكز في أحشائها طلائع هذا الصراع بين أجيال العصور الوسطى والعصر الحديث وقد امتد العمر بالجبرتي ليشهد ميلاد هذا الصراع الفكري الجديد ، وإن يصاحب تطوره عبر أجيال ثلاث ، الأول عاصر الطبقة الأخيرة من المماليك في مصر ، والثاني الذي واجهه الحملة الفرنسية على مصر ، والثالث عصر محمد علي فكان لابد على الجبرتي أن يضع خلفيته التاريخية مطابقة لهذه العصور الثلاث من الظلام إلى النور فجاءت سرديته للتاريخ مرآة صادقة تعكس صورة هذا الصراع بمراحله المختلفة ، واتباع الجبرتي في معالجة هذه المراحل أسلوباً جديداً جمع إلى طريقة التراجم باعتبارها نماذج بشرية للأجيال المتصارعة ، الاهتمام بسرد الأحداث التي توضح جوانب هذا الصراع مع الجرأة في إعطاء قلمه وريشته وهو يرسم صورة هذه الصراع منتهى الحرية في تكوين الظلال والألوان . (١٧)

#### ثانياً عامل اللغة وضعف الفصحى التقليدية

والآن نودع صحيفة الدعوى دفاعاً آخر لتبرئة مؤرخنا الجبرتي من الاتهامات التي نسبت إليه ، وهو خاص بعامل اللغة وتطورها .

فمن المعروف أن اللغة كائن حي يولد وينمو ويتطور سواء كان هذا التطور في أصواتها أو في بناء كلماتها أو في تراكيبيها بحسب الفترات التاريخية ، فاللغة في مفهومها البسيط ضرورة اجتماعية ، وبما أن الحاجات الاجتماعية تتغير من عصر إلى عصر ، بل من طبقة اجتماعية إلى طبقة أخرى حتى في إطار عصر واحد فإن النتيجة المحددة هي أنه على اللغة كي تواصل حياتها أن تتغير بتغير الظروف المحيطة بها ، وإلا كان عليها أن تخلق المسرح لغيرها من اللغات أو اللهجات القادرة على تمثيل الظروف وعلى التعبير عنها

وهذا بالضبط ما حدث مع مؤرخنا الجبرتي في كتاباته التي أخذت طابع السرد ، وفيها نلاحظ أن هناك فرق واضح بين سرديته الجبرتي وبين عربية التراث (١٨)

وعلى هذا الأساس فمن الظلم - إن لم يكن من الخطأ - أن نحكم على اللغة في مرحلة من مراحلها بمعيارية تستمد أصولها من مرحلة أخرى من مراحل تلك اللغة ، لأن اللغة لا تعيش في فراغ ، وإنما تعيش في واقع الظروف الاجتماعية التي تسود فتراتنا ، وهذا ما وقع فيه المحافظين من أصحاب الادعاء الذين أقاموا الدعوى ضد الجبرتي وأصدروا ضده الأحكام ، فقد ناصر أصحاب الادعاء إلى هذه الاتهامات من خلال الأسس المستمدة من عربية التراث وحكموا على الجبرتي بالتخلف والجمود (١٩)

ونحن نرد على هؤلاء قائلين ، ينبغي في الحكم على الجبرتي أن ننظر إلى لغة كتابته في إطار عصرها بنواحيه السياسية والاجتماعية والثقافية التي تكلمنا عنها من قبل ، وحين ننتهي من النظر إليها في هذا الإطار من حقنا أن نعقد المقارنات بينها وبين الفصحى فيما يسمى "عصورها الزاهرة" حتى نصدر الأحكام

ونستعين هنا في دفاعنا بشهادة الشهود من مؤرخي الأدب الذين أجمعوا بدون شك على أن الحركة الأدبية في ذلك الوقت قد تعطلت تماماً بل تحجرت ، وانحرفت اللغة العربية بل فسدت فكثر فيها التركي والعامي وحادت عن قواعد الإعراب ، وابتعدت عن سلامة التركيب العربي الأصيل ، ومن هنا أصبح الأدب في حالة من السقم تقارب الموت

والغريب أن يضرب أصحاب الادعاء المثل على انحطاط لغة الكتابة بمؤلفات الجبرتي (٢٠) ونحن نرد على هؤلاء بسؤال آخر ، ماذا كان يمكن أن يفعل الجبرتي وهو يرى النماذج الشعرية والنثرية هزيلة شاحبة مفتعلة غالباً أو أحياناً !؟

لقد كان الجبرتي بسريته للتاريخ صادقاً مع نفسه ، مدركاً في صدقه ذلك عجز لغة الصنعة الفصيحة عن تمثل الحقائق التي حفل بها عصره لذلك سائر الجبرتي بسريته للتاريخ المستويات اللغوية السائدة التي تعتبر عن الروح المصرية وهي اللغة التي تحتوى على القوة والحيوية التي ترضى القارئ الخاص والعام (٢٢)

ولتأذن لي عدالة المحكمة أن نعود مرة أخرى لنستعير بعض العبارات السابقة لصاحب الادعاء الأستاذ عبد الرحمن الرافعي ضد الجبرتي لتتأملها سوياً وخاصة التي قال فيها "فالجبرتي لا يزعم أنه كاتب أديب" "فوقعت في تاريخه الأغلاط الكثيرة من المفردات وفي العبارة وفي الأسلوب" "لم يفرغ للأدب ولا مهر فيه"

من خلال هذه العبارات يستند الرافعي على أن الكتابة التاريخية الحققة هي التي تتفق مع محاسن اللغة والتعبير التي أرسى أسسها - عبد الحميد بن يحيى الكاتب - في أخريات العصر الأموي (٢٢)

ومع احترامنا وتقديرنا للأستاذ الرافعي إلا أنني أرد عليه قائلاً : إن من يمسك بقلمه ثم يفيض بالسرد والكتابة ليخلف لنا هذا الإنتاج الغزير في وقت قصير لا يمكن أن يلجأ إلى الصنعة التي يريدها الرافعي فههدف الجبرتي واضح لا يحيد عنه ، وهو أن يسجل الحوادث الكثيرة المتلاحقة ، وهي من الكثرة والتلاحق بحيث لا تدع له فرصة التفكير في طرائق تعبيرية ترتفع بلغته عن السرد

والجبرتي لم يتبع المنهج السردى في الكتابة التاريخية لقصر ذات يده عن صناعة التفنن والترسل في القول ، لأن الجبرتي لم يكن قليل البضاعة في الأدب - كما يزعم الرافعي - بل كان من الطبقة المستنيرة التي تأثرت بثقافة غيره من المؤرخين أمثال "ابن خلدون" من حيث أنه يعتقد أن العلم والعدل هما قوام المجتمع البشرى وأساس الحكم والسياسة الرشيدة (٢٣)

رجل هذا شأنه هل يمكن أن نصفه "بالجهل فى الأدب" ومن يقرأ كتاب "عجائب الآثار" يلحظ أن عبارات الجبرتى فى بعض المواطن تدل على أنه ضرب بسهم وافر فى اللغة وأوضاعها لكنه لم يعن بالإشياء والبلاغة ، لأن أسلوب الجبرتى تقريرى سردي لا شأن له بصناعة الترسل ، ولا بفنون الأدب وما يتفق مع محاسن اللغة والتعبير

وعندما ادعى الرافعى أن الكتابة التاريخية هى التى تتفق مع محاسن اللغة والتعبير فقد قيد نفسه بين محسنات لفظية وأخرى معنوية تشد ذهن الكاتب وتجبره على التفكير فى كل كلمة يكتبها لتتلاءم معنوياً أو لفظياً مع كلمة أخرى سابقة أو لاحقة من أجل إتمام الإجابة والإتيان فضلاً عن الصحة فى جانب القواعد .

وهذا كله يجعل الكتابة تدور فى إطار محدود لا تعدوه ، ولعل ذلك ما دعا إلى عدم تطور هذا المستوى من الكتابة من أيام عبد الحميد الكاتب إلى مطلع العصر الحديث . ( ٢٤ )

ونحن عندما ندافع عن سردية الجبرتى نقول لأصحاب الادعاء أن الجبرتى لم يرتبط بموضوع معين ، بل كتب فى كل الموضوعات التى حقل بها عصره تقريباً ، لذلك كان لابد له من عدم التقييد بقيود الصناعة الأدبية واسترسالها وإذا جاز لنا أن نستعمل التعبيرات المجازية نقول أن لغة الجبرتى وسرديته للتاريخ هى أشبه بصوت مكتوب أو أقرب ما تكون إلى تلك اللغة التى يمكن أن يسجل بها أي من المثقفين ثقافة لغوية ودينية على شريط تسجيلياً صوتياً

وقد استمد هذا الصوت المكتوب ألفاظه من روح العصر المصري فى ذلك الوقت ( ٢٥ )

وإذا ما افترضنا جدلاً أو سلمنا بما قال به أصحاب الادعاء من ضعف ثقافة الجبرتى فى هذه الحالة تصبح لغة الجبرتى وسرديته للأحداث ممثلة لثقافته ، وبما أن ثقافته هى ثقافة العصر الذى وجدت فيه فليس أمامنا إلا التسليم بأن لغة الجبرتى إنما هى تمثل ثقافة العصر اللغوية ، أي أن ثقافة الجبرتى كانت لها نصيب من ظروف العصر وظروف العصر هى التى أسلمت إلى ما رأيناه من سرد للأحداث

وقبل أن نغلق ملف الدعوة فى هذه القضية نقدم هنا الوثيقة الأولى التى تبرئ الجبرتى أمام محكمة التاريخ وهى تحتوى على الحجة الدامغة من خلال ما نطق به لسانه وخط به قلمه من قبل أن يعلم أن هناك دعوى سوف ترفع ضده

حيث قال فى مقدمة كتابه "عجائب الآثار" " .. إن كنت سردت أوراقاً فى حوادث آخر القرن الثانى عشر وما يليه وأوائل القرن الثالث عشر الذى نحن فيه ، جمعت فيها بعض الوقائع إجمالية وأخرى محققة تفصيلية وغالبها ممن أدركناها وأمور شاهدناها ، واستطردت فى ضمن ذلك سوابق سمعتها ومن أفواه الشيوخ تلقيتها وبعض تراجم الأعيان المشهورين من العلماء والأمرء المعتمدين ، وذكر لمع من أخبارهم وأحوالهم ، وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم فأحببت جمع شملها وتقييد شواردها فى أوراق منسقة النظام مرتبة على السنين والأعوام ، ليسهل على الطالب النبىه المراجعة ويستفيد ما يروقه من المنفعة ، ويعتبر المطلع على الخطوب الماضية ، فيتأسى إذ لحقه مصاب ويتذكر بحوادث الدهر ، إنما يتذكر أولو الألباب فإنها غريبة فى بابها ، متنوعة فى عجابها" ( ٢٦ )

من خلال هذا النص وبمراجعته بموضوعات الكتاب نخلص إلى أن الجبرتي قدم لنا فى كتابه مستويين من اللغة ، الأول ما تميز بالصنعة والحبكة وهو ما يجرى على نمط الكتابة الفنية ونلاحظه فى الصفحات القليلة التى تحدث فيها عن تراجم لبعض علماء عصره المشهورين ، وهذا المستوى من الكتابة تحكمه لغة التراث من السجع والجناس والمحسنات البديعية . أما الثانى فهو الذى نستطيع أن نطلق عليه المستوى التلقائى السردى ، وهو بحق المستوى الذى يمثل لغة العصر الذى ينطلق فيه الكاتب على سجيته غير مقيد بأبواب المحسنات البديعية اللفظية أو المعنوية وهو المستوى العام الذى نجده فى معظم صفحات الجبرتي على وجه العموم (٢٧)

أى أن الجبرتي لم يهمل قواعد الفصحى فهو ينطلق على حريته متبعاً قواعد الفصحى حيناً ومقتضياً من العامية أو غيرها أحياناً أخرى

خاصة ونحن نضع فى الاعتبار أن طبيعة الموضوعات المتنوعة التى كتب فيها الجبرتي وهو يؤرخ لعصره ولرجالاته تحتم عليه ألا يلجأ إلى اللغة المصنوعة المليئة بالمحسنات البديعية المليئة بالزخارف اللفظية ، لأن ذلك اللجوء فضلاً عن صعوبته القسوى - نظراً لكم الكبير لما كتب الجبرتي - لا يساير طبيعة موضوعاته الجزئية التى تمثل الحياة بكل مظاهرها كالموالد والمآتم والأفراح والثورات والاحتفالات وغيرها

لذلك كان من الصعب على مثقف أزهرى كالجبرتي أن يكتب بالعامية على طول الخط من جهة ، ومن الصعب على الفصحى الرسمية أن تساير طبيعة موضوعاته من جهة مقابلة ، حيث انحدر مستواها وضعف بناؤها ، وقد دارت فى فلك المحسنات السقيمة والزخارف المموجة ، لذلك لاح فى الأفق حل وسط جمع فيه الجبرتي بين المستويين المستوى الفصيح والمستوى العامى السردى .

وعندما عجزت الفصحى التقليدية - إن صح القول - عن الوفاء بحاجات الحياة كان لابد على الجبرتي أن يتبع لغة السرد التى تتماشى مع عصره تماماً ، ذلك العصر الذى يشكل عدم الثبوت فى اتجاه معين حيث الحيرة والتردد بين الفصحى والعامية وحيث التشتت بين قيم اجتماعية تنتمى إلى العصور الوسطى ، وبين قيم اجتماعية أخرى تنتمى إلى العصر الحديث أطلت بوجهها مع الحملة الفرنسية .

ولكى نغلق ملف الدعوى لنترك الحكم لمحكمة التاريخ نود أن نلفت نظر المحكمة إلى نقطة هامة تختص بسردية الجبرتي فى ذكره للأحداث ، فهذه السردية نلاحظ أنها لا تنتمى تماماً إلى لغة الكتابة ولا تنتمى تماماً إلى لغة الكلام ، بل هى فى الحقيقة وسط بين اللغتين ، فقد نحكم عليها تارة بأنها تنتمى إلى المستوى الفصيح ، وقد نحكم عليها تارة أخرى بأنها تنتمى إلى المستوى العامى

وبناءً عليه فمن يقرأ الجبرتي عليه أن يوطن نفسه على حالة شعورية لم يألّفها فى قراءاته السابقة وهى أن يكون شديد اليقظة متأهباً للانتقال بين كافة المستويات اللغوية فصحى التراث ، وسردية الجبرتي التلقائية ، وحيث تختلط هذه المستويات جميعها أو معظمها أحياناً فى إطار تركيب واحد . الآن ونحن نطوى آخر صفحة من صفحات هذه الدعوى التى حركناها من جديد للتداول فى محكمة التاريخ نقدم الآن الوثيقة الثابتة وهى خاصة بشهادة الشهود ليدلوا كل واحد منهم بشهادته وبعدها نترك الحكم للمحكمة .

ونبدأ هنا بالمؤرخ البريطاني الكبير "أرنولد توينبي" الذى قال بالحرف الواحد " .. إن فى مصر أن تفتخر بالجبرتي ، كما تتباهى به سائر أنحاء العالم الذى يتحدث أبناؤه باللغة العربية" . ( ٢٨ )  
وفى موضع آخر يقول "وكان الجبرتي نافذ البصيرة حين راح يرقب ويسجل جميع المراحل المتعاقبة من تاريخ مصر طوال السنوات التى عاشها ، ... فهو يملك موهبة سيكولوجية بعيدة الشفافية مكنته من استيعاب حقيقة الدخلاء - ويقصد بالدخلاء هنا المماليك والعثمانيين والفرنسيين - وقد علم حقيقتهم جميعاً .. " ( ٢٩ )

أما "ماكدونالد" فقد قال عنه فى دائرة المعارف الإسلامية . "إن الجبرتي يمثل صورة تفصيلية للحياة الشرقية ، له قيمة اجتماعية عظيمة" . ( ٣٠ )  
وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية عن كتاب "عجائب الآثار" .. "وهذا أعظم تواريخ مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر للهجرة ..

لذلك كان لكتابه شأن الجريدة المعاصرة ، دون فيه كل الحوادث التى شاهدها" . ( ٣١ )  
كذلك قال "لين" "Lane" فى حق الجبرتي وكتابه عجائب الآثار . "لقد أفادني فى الحواشي التى كتبتها على طبعة كتاب ألف ليلة وليلة .. ( ٣٢ )  
ومن المؤرخين الذين كتبوا وأشادوا بالجبرتي ومؤلفاته كان الأستاذ "جرجى زيدان" فى كتابه "تاريخ أدب اللغة العربية" ( ٣٣ )

وهذا الدكتور "فيليب حتى" المؤرخ المعروف يشير فى كتابه "تاريخ العرب المطول" وهو يستشهد بالجبرتي كل الاستشهاد فى فصله الحادي والخمسين تحت عنوان "مصر والهلل العربي" حيث يقول "ولعل عبد الرحمن الجبرتي أهم المؤرخين المصريين الذين استعنا بهم فى كتابه هذا الفصل" .. ( ٣٤ )  
ومن المؤرخين المحدثين قال عنه الأستاذ الكبير "محمود الشرقاوى" فى مقدمة كتابه - الجزء الأول - "مصر فى القرن الثامن عشر" .. "تاريخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي عن حياة مصر فى القرن السابع عشر والثامن عشر ، وشطر من التاسع عشر الذى سماه "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" مرجع من أهم مراجع تاريخنا الحديث وأكثرها دقة ، وأوسعها شمولاً واحاطة ... " ( ٣٥ )

وبعد سماع شهادة الشهود تبقى مكانه مؤرخنا الكبير راسخة كالطود - فهو لصدقه وسرده ودقة تعبيره وحكيه ، خلف لنا صورة فريدة لأحوال مصر فى أيامه ، بحيث لا يستغنى عن تاريخه كل من يتصدى للكتابة عن ناحية أو أخرى من تاريخ مصر فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ...

رفعت الجلسة ويبقى الحكم لمحكمة التاريخ

## الهوامش

- (١) هو عبد الرحمن حسن الجبرتي ، ينسب إلى جبرت ، إقليم إسلامي يقع شمال بلاد الحبشة ، ولد في القاهرة عام ١١٦٧هـ / ١٧٥٤م وتوفي سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م عن سيرته راجع ، أحمد عزت عبد الكريم ، الجبرتي مؤرخ مصري ، ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ابريل ١٩٧٤م ، ص ١ وما بعدها
- (٢) راجع ، أحمد حافظ عوض ، فتح مصر الحديث ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٢٥م ، ص ١٣٧ ، ٤٣٥

**(3) Holt .P.K : Aljabarti's Introduction to The History of ottoman Egypt Bulletin of the School Of oriental . African Studies , university of London 1962,PP. 38 – 39**

- (٤) لويس عوض ، المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث المبحث الثاني ، "الفكر السياسي والاجتماعي" - القسم الأول من الحملة الفرنسية إلى عهد إسماعيل ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٩٤ وما بعدها
- (٥) محمد أنيس ، مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني ، مطبوعات معهد الدراسات العربية ، دار الجيل للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٤٥
- (٦) راجع ، عبد الرحمن الرافي ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، ط. القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٥٥م ، ج ١ ، ص ٤٨ - ٤٩
- (٧) المرجع السابق ، ص ٤٦
- (٨) الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ط القاهرة بولاق ١٩٦٦ ، ج ١ ، ص ٤
- (٩) إبراهيم جلال بك ، من يوميات الجبرتي ، مطابع أخبار اليوم ، القاهرة ، ص ١٣
- (١٠) جمال الدين الشيبان ، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر ، ط القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٦
- (١١) عبد الرحمن الرافي ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، ج ١ ، ص ١١-١٢
- (١٢) انظر ، عجائب الآثار ، ج ١ ، ص ٢١ ، ١٥٤ ، ج ٢ ، ص ٢٠٦-١٥٩-٢٢٩-٦٩ ، ج ٤ ، ص ١٦٣
- (١٣) جمال الدين الشيبان ، المرجع السابق ، ص ٩
- وراجع أيضاً ، خليل شيبوب ، عبد الرحمن الجبرتي ، سلسلة أقرأ ، ط دار المعارف مصر ، ١٩٤٨ ، العدد (٧٠)
- (١٤) الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، قام بنشرها وتحقيقها الأساتذة حسن محمد جوهر ، عمر الدسوقي ، السيد إبراهيم سالم ، ٧ أجزاء ، القاهرة ١٩٦٧م ، ج ١ ص ٦
- (١٥) جورجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ١٦-١٧
- (١٦) عبد الرحمن الرافي ، المرجع السابق نقلاً عن الخطط التوفيقية ، ج ١ ، ص ٤٦-٤٧

- وراجع أيضاً ، أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية ، ط القاهرة ، ص ١٧-١٨
- (١٧) إبراهيم أحمد العدوى ، الصراع الفكري بين أجيال العصور الوسطى والعصر الحديث كما صورته الجبرتي ، ندوة عبد الرحمن الجبرتي ، الجمعية المصرية بالدراسات التاريخية ، ابريل ١٩٧٤ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٧٥ وما بعدها
- (١٨) السعيد محمد بدوي ، مستويات العربية المعاصرة في مصر ، ط القاهرة ، ص ٥٣-٥٩
- (١٩) أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر ، ص ٢٠-٢١
- (٢٠) عبد الرحمن الرفاعي ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ٤٦٠
- (٢١) خليل شيبوب ، عبد الرحمن الجبرتي ، ط القاهرة ، ١٩٤٨م ، ص ١٠١
- (٢٢) راجع ، عبد الرحمن الرفاعي ، تاريخ الحركة القومية ، صفحات متعددة
- (٢٣) محمد فؤاد شكري ، مصر في مطلع القرن التاسع عشر ، طبعة القاهرة ، ج٣ ، ص ١١٧٠-١١٧٣
- (٢٤) رفعت الفرناوي ، الخواص التركيبية للغة الجبرتي كما تبدو في آثاره ، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ، الفصل الخامس ، ص ٢١١ ( مخطوط بدار العلوم )
- (٢٥) فندريس ، اللغة ، ترجمة الأستاذ عبد الحميد الدواخلي والدكتور محمد القصاص ، ص ٤٠٤-٤٠٥
- (٢٦) راجع مقدمة كتابة ، عجائب الآثار
- (٢٧) هناك رسالتان للشيخ الخشاب وللشيخ حسن العطار ، نقلها الجبرتي حرفياً في كتابه عجائب الآثار ، والرسالتان تؤكدان ما نقوله من تمثيل المستوى التلقائي في لغة الجبرتي للغة المثقفين في عصره .
- راجع ، عجائب الآثار ، ج٣ ، ص ٢٠٦

#### (28) Arnold Toynbee : Abdul Rahman Al , D jabarti .P.3-4-5

بحث منشور باللغة الإنجليزية ، ندوة عبد الرحمن الجبرتي ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالاشتراك مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ١٦-٢٣ ابريل ١٩٧٤

#### (29) Ibid

- (٣٠) راجع ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة جبرتي
- (٣١) نفسه
- (٣٢) بروكلمان ، ج٢ ، ص ٢٨٠-٢٩٤
- (٣٣) راجع ، تاريخ أدب اللغة العربية ، المجلد الرابع ، ص ١٧ وما بعدها
- (٣٤) راجع ، تاريخ العرب المطول ، طبعة بيروت ، ١٩٦١ ، ج٢ ، ص ٨٧٤ وطبعة القاهرة ، ١٣٢٢

وراجع أيضاً

**Roger Owen : Al . Jabarti And the Economic History of Late  
Eighteenth century , Egypt**

(٣٥) راجع ، محمود الشرقاوى ، مصر فى القرن الثامن عشر ، الجزء الأول ، مصر ، ١٩٥٧ ،  
المقدمة ، وما بعدها